موقف الإمامين الشيخ شجاع الدين التركستاني والشيخ ابن أبي العز الحنفي رحمهما الله من مسئلة القدر (دراسة تحليلية مقارنه)

The position of the two Imams Sheikh Shuja al-Din al-Turkistani and Sheikh Ibn Abi al-Izz al-Hanafi - may God have mercy on them - on the question of fate (Comparative Analytical Study)

Syed Muhammad Haroon Agha
PhD Scholar, Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad
aghaharoon00@gmail.com

Syed Muhmmad Hanif Agha
Khateeb Balochistan University of Information Technology Engineering & Management Sciences, Quetta:
syedmhanifagha@gmail.com

Muhammad Siddique Ullah
Visiting Faculty, Department of Islamic Studies, University of Balochistan, Quetta:
sideeqsadiq6@gmail.com

Abstract
The position of the two Imams Sheikh Shuja al-Din al-Turkistani and Sheikh Ibn Abi al-Izz al-Hanafi - may God have mercy on them - on the question of fate" One of the pillars of faith is belief in destiny and its good and evil are from God Almighty. This research highlights the truth about the issue of fate and its four levels: knowledge, will, writing, and creation. Then he presents an explanation of the positions of Sheikh Hibatullah al-Turkistani regarding destiny and his division of power into two parts: apparent and hidden power, and Sheikh Sadr al-Din Ibn Abi al-Izz al-Hanafi towards the issue of destiny and his division of power into three categories in terms of influence: influence in the sense of being unique through innovation and unity through invention, al-thatheer meaning assistance. In creation, influence means mediation for creation, and the sign has been divided by dividing the end of power into two types expressed by ability: the first type: correcting the action, the second type: strengthening the action. We have mentioned the comparison between the positions of the scholar Ibn Abi al-Izz and the scholar al-Turkistani. We have not found - until now - any previous studies that dealt with the subject comprehensively, or dealt with the subject of "the position of the two imams, Sheikh Shuja al-Din al-Turkistani and Sheikh Ibn Abi al-Izz al-Hanafi, may God have mercy on them, on the issue of fate." The method of this research is a comparative analytical study.

Keyword: *God, Fate, Imams Sheikh Shuja al-Din al-Turkistani, Sheikh Ibn Abi al-Izz al-Hanafi*

الحمد لله رب العلمين والصلوة والسلام علي سيد الأنبياء والمرسلين.أما بعد:

إن من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر وخيره وشره من الله سبحانه وتعالي. وهذا البحث يبرز حقيقة مسئلة القدر ومراتبه الأربعة وهي: العلم، والمشيئة، والكتابة، والخلق.

ثم يتعرض إلي بيان موقفي الشيخ العلامة هبة الله التركستاني حول القدر وتقسيمه القدرة إلي قسمين: القدرة الظاهرة والباطنة، والشيخ صدر الدين ابن أبي العز الحنفي تجاه مسئلة القدر وتقسيمه القدرة إلي ثلاثة أقسام من حيث التأثير: التأثير بمعنى الانفراد بالابتداع والتوحد بالاختراع، الثاثير بمعنى المعاونة في الخلق، التأثير بمعنى الواسطة للخلق وقد قسم العلامة بتقسيم آخر القدرة إلى نوعين معبرا عنها بالاستطاعة: النوع الأول: مصحح للفعل، النوع الثاني: مرجح للفعل وقد ذكرنا المقارنة بين موقفي العلامة ابن أبي العز والعلامة التركستاني.

ولم نقف –حتى الآن- على أي دراسات سابقة تناولت الموضوع بشكل شامل، أو تعرضت لموضوع "موقف الإمامين الشيخ شجاع الدين التركستاني والشيخ ابن أبي العز الحنفي رحمهما الله من مسئلة القدر" ومنهج هذا البحث هي دراسة تحليلية مقارنه.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين:

إن من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر وخيره وشره من الله سبحانه وتعالي وأن الإيمان بالقدر من عقيدة أهل السنة والجماعة.ولأهمية هذا الأمر اخترت أن يكون عنوان بحثي: "موقف الإمامين الشيخ ابن أبي العز الحنفي والشيخ شجاع الدين التركستاني رحمهما الله في مسئلة القدر" (دراسة تحليلية مقارنه)

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، كما نسأله التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية الموضوع:

يستمد أهمية البحث من خلال ارتباطه المباشربإمامين جليلين من علماء الأمة هو:

1-صدر الدين ابن أبي العز الحنفي رحمه الله

2- الشيخ شجاع الدين التركستاني رحمه الله

1- ويكتسب أهميته أيضا من خلال استقرائه لوقوع الخلاف الفكري والمذهبي في علماء الإسلام.
2- كما يكتسب أهميته من خلال تقديم الحلول والمعالجات لظاهرة الخلافات في الجوانب الفكرية والعقدية.
3- إن هذا الموضوع لم يحظ –فيما اطلعت عليه- بدراسة علمية مستقلة، ولذلك أرجو أن أقدم إلى المكتبة الإسلامية إضافة علمية، ولو يسيرة في هذا المجال.

1- أسباب اختيار الموضوع:

دعتني الأسباب التالية لاختيار موضوع وألخصها في النقاط الآتية:

1- ميلي إلى الغوص في مسئلة القدر ودراسته دراسة عقدية تحليلية مقارنة
2- استغلال الأعداء للخلافات الفكرية بين العلماء في تنفيذ أجندة خفية تستهدف الإسلام والمسلمين.
3- المساهمة في تزويد المكتبية الإسلامية بما يفيد وينفع باذن الله تعالى.

2- الدراسات السابقة:

لم أقف –حتى الآن- على أي كتابات سابقة تناولت الموضوع بشكل شامل، أو تعرضت لموضوع "موقف الإمامين الشيخ ابن أبي العز الحنفي والشيخ شجاع الدين التركستاني رحمهما الله في مسئلة القدر" (دراسة تحليلية مقارنه)

3- مشكلة البحث:

لقد كانت هناك جملة أسئلة تجول في خاطري أردت الإجابة عليها من خلال هذا البحث، وألخصها في الأرقام التالية:

1- ما هو الخلاف الفكري والمذهبي على مستوى مواقف الإمامين ؟
2- كيف نعالج موضوع الخلاف الفكري في مسئلة القدر؟
3- ماهي آراءالإمامين صدر الدين ابن أبي العز الحنفي والشيخ شجاع الدين التركستاني رحمهما الله تجاه مسئلة القدر؟

4- منهج البحث:

المنهج التحليلي المقارن.

5 خطة البحث:

تمهيد:

١.معني القدر ٢. مراتب الإيمان بالقدر

المبحث الأول: موقف العلامة التركستاني رحمه الله تعالى في مسئلة القدر.

المبحث الثاني: موقف الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى في مسألة القدر

المبحث الثالث: المقارنة بين موقفي العلامة ابن أبي العز و العلامة التركستاني

أولا: تعريف القدر.

معني القدر لغة:

قال في معجم مقاييس اللغة: (قدر) القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. فالقدر: مبلغ كل شيء. يقال: قدره كذا، أي مبلغه. وكذلك القدر. وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته أقدره. والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضا.[1]

هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك ومشيئته، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقها لها.[2]

اختلف المصنفون في درجات الإيمان بالقدر، والحقيقة أن هذا الاختلاف اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، فهم يتفقون في المعنى لكنهم قد يختلفون في اللفظ.

وقد جعلها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله درجتين، وكل درجة درجتين، حيث يقول والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين.[3]

وبعضهم يفصلها ويجعلها أربع مراتب:

فالمرتبة الأولى: العلم.

والمرتبة الثانية: الكتابة.

والمرتبة الثالثة: المشيئة والإرادة.

والمرتبة الرابعة: الخلق.

---

[1] معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ، (5/ 62) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م. عدد الأجزاء: 6

[2] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية المؤلف : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : 1188هـ) الناشر : مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق الطبعة : الثانية - 1402 هـ - 1982 م: وعلم - سبحانه - أنها ستقع في أوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها وقضاها ، من غير زيادة ولا نقص .

[3] العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المحقق : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف - الرياض

وكلها تعود إلى الله عز وجل وإلى صفاته.

المرتبة الأولى: العلم

وذلك الإيمان بأن الله تعالى عليم بكل شيئ جملة وتفصيلا، ما كان و ماسيكون في المستقبل، لايخفى عنه سبحانه وتعالى مثقال ذرة في الأرض وفي السماوات، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[4]

المرتبة الثانية: الكتابة

و ذلك الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى كتب كل ما سيحدث في المستقبل و ما حدث في الماضي في اللوح المحفوظ، كل حواث العالم صغيرها وكبيرها حسب تلك الكتابة التي أحاطت بكل شيئ قال الله تعالى:{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}[5] فقد كتب الله سبحانه وتعالى كل شيئ في الكتاب، لم يفته شيئ، وكل ما نراه من الحوادث هي نفسها المكتوبة في لوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: المشيئة

والإيمان بمشيئة الله سبحانه وتعالى يعني أن كل شيئ في السموات والأرض كائن بأمر الله وإرادته ومشيئه، كل فعل من العباد أو الملئكة أو أي خلق من خلائق الله سبحانه برضا الله سبحانه وتعالى، وقد صرح الله بذلك غير مرة في كتابه الحكيم، حيث قال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ}[6] وقال أيضا: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ}[7]

المرتبة الرابعة: الخلق

---

[4] [الأنعام: 59]
[5] [الأنعام: 38]
[6] [الأنعام: 112]
[7] [البقرة: 253]

والمراد بالإيمان بالخلق أن كل موجود في حضن السماوات السبع وفوقها والأرض وما بداخلها والبحار و ما في أعماقها حتى أفعال الخلائق بما فيها أفعال الإنسان كل ذلك من خلق الله، حيث قال الله تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[8]

مكانة القدرفي العقيدة الإسلامية:

القدر ركن مهم من أركان الإيمان الستة التي، يتوقف عليه كيان الإيمان، و هذا يدل على مكانته من العقيدة الإسلامية، فهو الركن الذي له علاقة مباشرة بالتوحيد، على سبيل المثال: إن القول بأن العبد يخلق ما يعمله، فهذا يعني أن الخالق ليس واحدا، وقد قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم: "...أن تؤمن بالله ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره...."[9]

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه فيما يتعلق بمكانة القدر من المكان أن القدر نظام التوحيد.[10]

وإن الإيمان بالقدر خيره وشره تسلية كبيرة وحل كبير لمشكلات الإنسان وأحاسيسه حين يعين في الدنيا، و إذا آمن إنسان بقدر الله كان مطمئنا بعيدا عن الأفكار الهدامة واليأس والقنوط وغير ذلك، فهو نعمة كبيرة للمسلمين.

لكن القدر بالرغم من أهميته مسألة عظيمة من أعظم المسائل في الإسلام، لذلك كان الخوض فيها مكروها لدى العلماء لأن المسألة أكبر من يتحملها عقول الناس العامة، و إن الخوض لعامة الناس ربما يؤدي إلى الضلال أو الإخراج من الملة، لذلك نظرا إلى خطرها وخطورتها منع كبار السلف الصالح عن الخوض فيها والتنازع في جوانبها، فقد روي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم غضب حتى احمرت وجنتاه حين رأى

([8]) [الصافات: 96]

[9]السنن الكبرى تصنيف الامام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائئ تحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البنداري دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (6/ 494)

[10]شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي1-4 (ص: 295) ، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، 1423هـ/ 2003م، عن الزهري عن ابن عباس قال القدر نظام التوحيد فمن وحد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء نقضا للتوحيد ومن وحد الله وآمن بالقدر كان العروة الوثقي لانفصام لها.

أصحابه يتنازعون في مسألة القدر: وقال عليه السلام: إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر،[11] فهذا يعني كم هي خطيرة مسألة القدر.

المبحث الأول: موقف العلامة التركستاني رحمه الله تعالى في مسئلة القدر

القدر عند العلامة التركستاني رحمه الله تعالى، فهو يرى ما يراه أهل السنة والجماعة تجاه القدر، وحاصله موقفه من ذلك أن الله تعالى خالق لكل شيئ حتى أفعال العباد، فكما خلق الله العباد كذلك خلق أفعالهم، و أما العباد فهم كاسبون لأفعالهم وليسوا خالقين لها،هذا حاصل موقف العلامة من القدر في العقيدة الإسلامية الواضحة.

يقول العلامة رحمه في شرح عبارة العلامة الطحاوي حول أفعال العباد: خلق الله أي مخلوقة لله تعالى، وهي كسب من العباد.[12]

أدلة العلامة على موقفه من القدر:

أولا: قال الله تعالى في كتابه:{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[13] هذه الاية تدل على أن كل شيئ من خلق الله تعالى، وأفعال العباد أيضا شيئ، فثبت أن الله خالق لأفعال العباد أيضا، وهو متفرد بها لايشاركه في ذلك أحد، فالعباد ليسوا خالقين لأفعالهم وإنما كاسبون لذلك.

ثانيا: قال الله سبحانه وتعالى:{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[14]

ثالثا: قال الله سبحانه وتعالى:{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[15]هذه الاية أيضا تنطق بصراحة على أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيئ، ومن جملة الأشياء هي أفعال العباد فثبت أن أفعال الله من خلق الله سبحانه وتعالى مثل غيره من الأشياء.

---

[11] سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي،(4/ 235) ، بتحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م عدد الأجزاء: 5 أجزاء

عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم عزمت عليكم ألا تتنازعوا.

[12] شرح العلامة التركستاني (ص: 162)

[13] [الأنعام: 102]

[14] [الأنعام: 101]

[15] [الصافات: 96، 97]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله خالق كل صانع و صنعته.[16]

و حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يدل بوضوح على أن أفعال الله من خلق الله سبحانه وتعالى.

أنواع القدرة لدى الشيخ التركستاني:

الشيخ التركستاني أيضا قسم القدرة إلى القسمين:

1ـ القدرة الظاهرة

2ـ القدرة الباطنة

أما القدرة الظاهرة فهي القدرة التي تعبر عن سلامة الأسباب والصحة والعافية، وتحصل للمطيع والعاصي كليهما، و قد سماهما الشيخ ابن أبي العز رحمه الله باستطاعة المحصلة للفعل والاستطاعة المرجحة للفعل، والكل ثابت في كتاب الله عزوجل، وتعريفهما هو نفس تعريف ما سبق من نوعي القدرة لدى العلامة ابن أبي العز رحمه الله تعالى.

والقدرة الباطنة هي القدرة التي يحدثها الله تعالى عند مباشرة الفعل والقيام بأمر، وهذه القدرة تحصل للمطيع فقط، ولا تحصل للعاصي، لأن العاصي يترك القيام بالفعل مع قدرته عليه واستطاعته له، يقول العلامة التركستاني، وهو يشرح نوعي القدرة بألفاظ سهلة المنال:

ثم القدرة باطنة وظاهرة، فالاستطاعة الباطنة هي التي يوجد بها الفعل، يحدثها الله تعالى مقرونة بالفعل، ففي الفعل تسمى توفيقا، وفي المعاصي تسمى خذلانا، لايوصف المخلوق به، فهذه الاستطاعة تكون مع الفعل ليكون العبد مفتقرا إلى توفيق الله تعالى ومشيئته و تأييده في كل لمحة وطرفة، وهي حقيقة العبودية، قال تعالى: إن الله لغني عن العلمين، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.[17]

---

[16] المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص المؤلف : الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد. المحقق : تعليق الإمام الذهبي شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن (1/ 40)

[17] شرح العلامة شجاع الدين هبة الله التركستاني (ص:160) التحقيق: جاد الله بسام صالح، دار النور للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ٢٠١٤.

و أما الاستطاعة الثانية فهي القدرة الظاهرة، وهي من جهة الوسع والتمكين وصحة الالات، وهي متقدمة على الفعل، فالقدرة التي يوجد بها الفعل باطنة لايتعلق احكام الشرع بها، لأنها باطنة قبل وجودها هي معدومة، وتعليق الأحكام بالمعدوم يفضي إلى إهدارها، والله تعالى شرع الأحكام للإلزام لا للإهدار، ويعد وجودها هي خفية لايقف العبد عليها، ولاتبقى زمانين، فالقول بتعليق الأحكام بها قول بما ليس في وسع العبد. [18]

المبحث الثاني: موقف الإمام ابن أبي العز رحمه الله تعالى في مسألة القدر

ذهب الإمام أبو العز مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة القدر، و مما يتضح موقفه تجاه مسألة القدر هو أن الله سبحانه وتعالى كما هو خالق العباد، كذا هو خالق أفعالهم، فهو الخالق الوحيد، وليس هناك خالق غيره، و يرى العلامة أن فعل العباد كسبهم وليس خلقهم، يعني أن العباد يتحقق منهم الفعل لكنهم كاسبون له وليسوا خالقين له، يقول الشيخ عبدالله بن عبيد بن عباد الحافي في كتابه منهج الإمام ابن أبي العز من خلال شرحه للطحاوية:

يرى ابن أبي العز أن الله خالق العباد وأفعالهم، لاخالق إلا هو تعالى، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة، وقد قرر هذا في الشرح وساق الأدلة عليه وبين أن هذا هو الذي عليه أئمة أهل السنة.[19]

وأما شرح موقفه تجاه القدر سأذكره في السطور التالية:

يرى العلامة أن مذهب أهل السنة والجماعة هو أن الله تعالى خالق أفعال العباد وأن كل شيئ بقدر الله وقضاءه حتى الكفر من خلق الله تعالى إلا أنه لايرضاه دينا، يعني أن الكفر من

([18]) المصدر السابق (ص:160) .

[19] شرح العقيدة الطحاوية الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت (ص: 436) وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فكل دليل صحيح يقيمه الجبري فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء وأنه على كل شيء قدير وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار وأن حركاته الإختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة وأنه مريد له مختار له حقيقة وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى - فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والافعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

الله تعالى خلقا لكنه لايرضاه لعباده دينا، فالكفر أيضا من خلق الله تعالى، كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}[20] و قال أيضا: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[21] فكل شيئ من خلق الله وبمشيئته.[22]

ويرى العلامة أيضا أن الفعل من خلق الله تعالى وصفاته، لكن أفعال العباد مخلوقه، وفرق بين الأمرين، حيث يقول أن الفعل شيئ والمفعول شيئ، الفعل من صفات الله والمفعول مخلوقه؛ لكن خلق هذا المفعول بوساطه عباده، مثل ما يسقي الله الزرع وينبتها بالماء، كذلك يخلق الله الأفعال لكن بوساطة عباده، فأفعالهم كلها مخلوق الله، ولا تخرج من أن تكون خلقا لغيره لمجرد التسبب. فعلم أن نسبة الأفعال إلى العباد لايعني أنهم خالقون لها بل معناه أنهم كاسبون لها ومتسببون لها برضاهم وقدرتهم وليس إجبارا كما يقوله الجبرية.[23]

سؤال: نؤمن بأن لله تعالي قدرة، وأن للعباد قدرة، فما هو الفرق بين أثري القدرتين في أفعال العباد؟

جواب: إن قدرة الله سبحانه وتعالى قدرة مطلقة، وتأثيرها في الأفعال تأثير خلق والابتداع والتوحد بالاختراع، و أما قدرة العباد على أفعالهم فليست قدرة مطلقة، بل تأثيرها في الأفعال كتأثير الواسطة في شيئ، كتأثير الماء في زرع نبات، كذلك تأثير قدرة العباد في أفعالهم، يقول شيخ الإسلام: التأثير اسم مشترك، قد يراد بالتأثير الانفراد بالابتداع والتوحد بالاختراع فإن أريد بتأثير قدرة العبد هذه القدرة فحاشا لله لم يقله سني، وإن أريد بالتأثير نوع معاونة إما في صفة من صفات الفعل، أو في وجه من وجوهه كما قاله كثير من متكلمي أهل الإثبات، فهو أيضا باطل بما بطل بي التأثير في ذات الفعل، وإن أريد بالتأثير أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة، بمعنى أن القدرة المخلوق سبب واسطة في خلق لله سبحانه وتعالى بهذه القدرة كما خلق النبات بالماء وكما خلق جميع المسببات و المخلوقات بوسائط و أسباب فهذا حق.[24]

فكأن العلامة قسم القدرة إلى ثلاثة أقسام من حيث التأثير:

---

[20] [الفرقان: 2]

[21] [التكوير: 29]

[22] أنظر: منهج الإمام ابن أبي العز الحنفي وآراؤه في العقيدة من خلال شرحه للطحاوية، (ص:314) عبدالله بن عبيد بن عباد الحافي، عدد الأجزاء1 بلد النشر السعودية، المحقق: عبدالرحمن بن صالح المحمود، دارالنشر: دار ابن الجوزي، تاريخ النشر: 1424 ه، المدينة: الدمام ص: ٣٣١

[23] المصدر السابق: ص:٣١٤.

[24] منهج العلامة ابن أبي العز و أراءه في العقيدة ص: 314

الأول: التأثير بمعنى الانفراد بالابتداع والتوحد بالاختراع.

الثاني: الثاثير بمعنى المعاونة في الخلق.

الثالث: التأثير بمعنى الواسطة للخلق.

و قدرة العباد من النوع الثالث، وأما النوع الأول والثاني فليسا من جملة القدرة المخلوقة للعبد، والذين يعقتدون بأن قدرة العباد من النوع الأول أو الثاني فاعتقادهم باطل و على الضلال المبين.

و العلامة ابن القيم رحمه الله يلخص الموضوع بهذه الكلمات، وهي في غاية الوضوح:

"نقول الفعل وقع بقدرة الرب خلقا وتكوينا كما وقعت سائر المخولقات بقدرته وتكوينه وبقدرة العبد سببا ومباشرة والله خلق الفعل والعبد فعله وباشره والقدرة الحادثة وأثرها واقعان بقدرة الرب ومشيئته"[25]

أنواع القدرة عند ابن أبي العز رحمه الله تعالى:

قسم العلامة القدرة إلى نوعين معبرا عنها بالاستطاعة:

النوع الأول: مصحح للفعل

النوع الثاني: مرجح للفعل

أما النوع الأول: فهي القدرة والاستطاعة التي تكون مناطا للأمر والنهي، ومعناها سلامة الأسباب والصحة والوسع، وهي تحصل للمطيع والعاصي كليهما، وتكون موجودة عند كل واحد منهما إلى حين الفعل، وهي الاستطاعة التي يتقيد بها أمر الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى لايكلف نفسا ليست معه هذا النوع من الاستطاعة[26]، وفي كتاب الله سبحانه وتعالى أمثلة عديدة لهذا النوع من القدرة كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا }[27] هنا أمر الله عباه بأداء فريضة الحج لكن من يستطيع منهم على ذلك، والذين لايستطيعون لايكلفون بذلك، وإلا لكان تكليفا بما لايطاق. وقال الله سبحانه: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[28] هنا أمر الله عباده

---

[25] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) المحقق: - الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان (1/ 215)

[26] {لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [الأنعام: 152]

[27] [آل عمران: 97]

[28] [التغابن: 16]

بالتقوى حسب استطاعتهم، وإذا لم يستطيعوا بعد المحاولة فالله تعالى يعفو عنهم برحمته.وهذا النوع يتصف به المطيع والعاصي كلاهما، لأنهما يملكان سلامة الأسباب.[29]

وأما النوع الثاني: فهي الاستطاعة المرجحة للفعل، وهي التي تباشر الفعل، يعني تكون موجودة عند مباشرة فعل ما، وإنما سميت بمرجح الفعل، لأنها تختار الفعل مع القدرة علها، و كان من الممكن تركها مع سلامة الأسباب كما قال الله سبحانه وتعالى: {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ}[30] المراد هنا أنهم كانوا بالرغم من قدرتهم على السمع والبصر لسلامة أسبابهما إلا أنهم لم يسمعوا بها ولم يبصروا، ولم يرجحوا جانب العمل بل رجحوا العصيان والتخلف عن الطاعة، فالانتفاء هنا ليس انتفاء حقيقة القدرة على السمع والبصر، وإنما الانتفاء انتفاء العمل بهما، وهذا النوع من القدرة والاستطاعة تحصل للمطيع فقط، ولاتحصل للعاصي، لأنه لم يستخدم أسبابه المتاحة عنده للطاعة والاتباع.[31]

المبحث الثالث: المقارنة بين موقفي العلامة ابن أبي العزوالعلامة التركستاني

نظرا إلى التفاصيل المذكورة يبدو للباحث أنه لافرق بين الموقفين إلا في ظاهر الأسوب التعبيري، وتسمية أنواع القدرة، وهما في ذلك سلكا مسلك جمهور الأئمة ولا يخالفاهم في شيئ كما يعلم الباحث، إلا أن الماتريدية والأشاعرة اختلفا في مفهوم القدر، فالقدر عند الأشاعرة: خلق الله المخلوقات وإنشاءها على قدر مخصوص أراده تعالى، فالقدر على هذا صفة للفعل؛ لأنه عبارة عن الإنشاء والإيجاد، و ذلك من صفات الأفعال؛ بينما الماتريدية تعرفه بأنه: "تحديد الله أزلا كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر إلى غير ذلك": فيكون القدر عندهم صفة للعلم وهي من صفات الذات.

و هكذا هو اختلافهم في مفهوم القضاء، فهو عند سماحة الأشاعرة: إرادة الله الأشياء في الأزل كماهي عليه فيما لايزال، فهو من صفات الذات عندهم، وعند الماتريدية: إيجاد الله

---

[29] شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي(ج:٢ ، ص: ٦٣٨) (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، 1426هـ - 2005م، عدد الأجزاء: 1.

[30] [هود: 20]

[31] المصدر السابق: (ج:٢ ، ص: ٦٣٨)

الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان، فهو صفة فعل عندهم، فالقدر حادث والقضاء قديم عند الأشاعرة ولا كذلك عند الماتريدية.[32]

أنواع القدرة لدى الإمامين و موقف علماء الأحناف من ذلك:

اتفق العلماء في تقسيم القدرة إلى هذين النوعين إلا أنهم اختلفوا في تسمتهما، فهما عند العلامة ابن أبي العز:

1) مصححة للفعل
2) مرجحة للفعل

وعند العلامة التركستاني:

1) القدرة الظاهرة
2) القدرة الباطنة

وعند علماء الأحناف:

1) القدرة الميسرة
2) القدرة الممكنة.[33]

وليس هناك فرق واضح بين مفاهيم أنواع القدرة لدى الأئمة إلا في التعبير، كما علم ذلك من التفاصيل المذكورة.

نتائج البحث:

بعد أن انتهيت بحمد الله تعالي من هذا البحث ظهرت لي النتائج التالية:

- الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالي من عقيدة أهل السنة والجماعة.
- دل الكتاب والسنة علي وجوب الإيمان بالقدر

---

[32] نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد مع ذكر أدلة الفريقين للعلامة عبد الرحيم بن علي الشهير بشيخ زاده عليه الرحمة والرضوان، المطبعة الأدبية بسوق الحضار بمصر. ص:22

[33] الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ) الناشر: دار الفكر-بيروت (2/ 360)

(و) إنما لم يشترط النمو؛ لأن (وجوبها بقدرة ممكنة) هي ما يجب بمجرد التمكن من الفعل فلا يشترط بقاؤها لبقاء الوجوب؛ لأنها شرط محض (لا) بقدرة (ميسرة) هي ما يجب بعد التمكن بصفة اليسر، فغيرته من العسر إلى اليسر فيشترط بقاؤها؛ لأنها في معنى العلة.

- للقدر أربع مراتب لايصح إيمان عبد بالقدر لايصح إيمان عبد بالقدر حتي يؤمن بها، وهي: العلم، والمشيئة، والكتابة، والخلق.
- عرفنا موقف الشيخ هبة الله التركستاني حول القدر وتقسيمه القدرة إلي قسمين: القدرة الظاهرة والباطنة.
- وعرفنا منهج العلامة بن أبي العز تجاه مسئلة القدر.
- وتقسيمه القدرة إلي ثلاثة أقسام من حيث التأثير: التأثير بمعنى الانفراد بالابتداع والتوحد بالاختراع، الثاثير بمعنى المعاونة في الخلق، التأثير بمعنى الواسطة للخلق.
- المقارنة بين موقفي العلامة ابن أبي العز والعلامة التركستاني.